المقابر الجماعية... صرخات الرفات تبوح بمآسي حقبة داعش الدموية في العراق

شرعت السلطات العراقية في انتشال رفات آلاف الضحايا من مقبرة الخسفة الجماعية قرب الموصل، والتي يُعتقد أنها تعود لعهد تنظيم داعش.

وانقضت ثماني سنوات على إعلان القوات العراقية نصرها على تنظيم داعش الذي كان قد سيطر على مناطق شاسعة بالبلاد منذ سنة 2014، لكنّ مخلفات تلك الحقبة الدامية ما تزال ماثلة في بعض المناطق التي احتلها، حيث لا يزال مصير أعداد من سكانها مجهولا وبعض مرافقها مدمرة، بينما لا يزال بعض هؤلاء السكان يعيشون في المناطق التي نزحوا إليها فرارا من عنف التنظيم ودمويته وأيضا من الحرب الضروس التي جرت ضدّه، حيث لا تزال ظروف العودة إلى ديارهم غير مهيأة بعد أن فقدوا مساكنهم وموارد رزقهم.

وجاء في تقرير لصحيف العرب وتابعته "المطلع" أنه "يظل من أسوأ مخلفات تلك الحقبة حالة النقمة الماثلة لدى بعض المجتمعات المحلية على أفراد وفئات متهمة بالانتماء لتنظيم داعش والتعاون معه، الأمر الذي يؤخّر المصالحة المجتمعية المنشودة ويمنع إعادة إدماج عوائل بحالها محسوبة على التنظيم وتقيم في مخيمات أكبرها على الإطلاق مخيم الهول داخل الأراضي السورية".

وتعمل السلطات العراقية في الوقت الحالي على استكمال استعادة مواطنيها من المخيم، كما أنّ إعادة فتح المقابر الجماعية لا تنفصل عن الجهد ذاته الهادف إلى استكمال الكشف عن أسرار حقبة داعش وطي ملفها بشكل نهائي.

وقال رئيس فرق التنقيب عن المقابر الجماعية في العراق أحمد الأسدي لوكالة فرانس برس، إنّ المرحلة الأولى التي انطلقت في العاشر من أغسطس الجاري متضمنة رفع الأدلة وبقايا العظام تشمل سطح محيط حفرة الخسفة الجيولوجية.

وعثر الخبراء على عظام متفرّقة بينها جماجم بشرية وفق مراسلي وكالات الأنباء في الموقع القريب من الموصل، والتي اتخذها تنظيم الدولة الإسلامية عاصمة له في حزيران 2014 وأعلنت القوات العراقية دحره في نهاية 2017 بعد معارك دامية.

وأوضح الأسدي أنه حتى الآن "لا عدد محددا للضحايا" في هذه المقبرة الجماعية، لكن السلطات قدّرت سابقا بأنه يراوح بين أربعة آلاف و15 ألفا.

وقد تكون الخسفة أكبر مقبرة جماعية في العراق بحسب تقرير للأمم المتحدة صدر في 2018.

ولفت الأسدي إلى أن هذه الحفرة "تحتوي على ضحايا من جميع القوميات والطوائف بينهم عناصر من الجيش وضحايا من الإيزيديين وسكان الموصل، تمّت تصفيتهم جميعا من قبل داعش".

وأشار إلى صعوبة تعترض أعمال انتشال الرفات، مرتبطة بتدفق المياه الكبريتية تحت الأرض والتي قد تكون تسببت في تآكل الهياكل العظمية، ما يزيد من تعقيد مهمة خبراء الطب الشرعي في أخذ عينات الحمض النووي لتحديد هوية الضحايا.

وشهدت حفرة الخسفة الطبيعية بعمق يصل إلى 150 مترا وقطر يبلغ 110 أمتار واحدة من أفظع الجرائم في العام 2016 حين أعدم جهاديو داعش في يوم واحد 280 شخصا معظمهم من عناصر وزارة الداخلية، وفق السلطات المحلية.

وبعد بروزه السريع في العام 2014، كثّف تنظيم داعش الإعدامات في مساحات واسعة سيطر عليها في العراق وسوريا. وترك وراءه في العراق أكثر من 200 مقبرة جماعية قد تضمّ ما يصل إلى 12 ألف جثة

وفق الأمم المتحدة.

وبحسب التقرير، بالإضافة إلى المقابر الجماعية المرتبطة بتنظيم الدولة الإسلامية، ما زالت السلطات العراقية تعثر على مقابر جماعية تقول إنها تعود إلى عهد صدام حسين الذي أطاح به الغزو الأميركي للعراق في العام 2003.

ومنذ العام 2006، اكتشفت السلطات نحو 289 مقبرة جماعية، بحسب مؤسسة الشهداء الحكومية المكلفة العثور على المقابر الجماعية والتعرف على الرفات.